

في المرأة

المسرحي القطري عبدالرحمن المناعي من السوق الشعبية إلى المسرح المطعم بالشعرية

بمنظور تأويلي، فشعرية المناعي المسرحية تكمن في الأثر الوجداني والفكري الذي يخلفه في فضائه المسرحي.. شعرية بذلك ليست متقصدة وليست طاغية أو فائضة عن الحاجة الفنية بقدر ما هي موازية لتأليفه وإخراجه، أو حتى أنها متوارية عن التأليف والإخراج.

في هذا السياق أقول إن عبدالرحمن المناعي يؤلف كما لو كان يقوم بعملية الإخراج، ويقوم بالإخراج كما لو كان يؤلف. العنصران مرتبطان لديه بمساحة واحدة، أو يدوران في فضاء هذه المساحة الواحدة.

وربما لهذا السبب تميزت أعماله، واتخذت لها خصوصية فنية في منطقة الخليج العربي، وخصوصية ذات طابع واضح من الجدية التي تحترم المتفرج وتحترم الممثل في آن.

عبدالرحمن المناعي لا يستطيع الخروج من منهجه الجاد والأمين إلى العمل الفني بكل عناصره وشروطه وأهدافه، ولذلك فهو يشن هجمة كبيرة على الأعمال المسرحية التي تتوجه إلى الطفل وتتعامل مع هذا الكائن المستقبل الصغير على أنه وسيلة للربح التجاري. يدرك المناعي مدى خطورة مسرح الطفل ومدى إمكانية العمل على هذا المسرح وإمكانية تطويره والنهوض به بجدارة وإخلاص بعيداً من أي مبتغيات تجارية مادية. وعندما قدم المناعي مسرحياته للأطفال كان قد قرأ ميدانياً «المسرح الأرضي» الذي يلعب عليه الأطفال، إذاً. فقد كان اتجاهه إلى الطفل نابعاً من دراسة وتخطيط واستنتاج، ولم يكن الأمر مجرد رغبة عابرة في هذا المسرح الشائك والخطر.

إلى جانب الشخصية المسرحية للفنان القطري عبدالرحمن المناعي فقد شغل منصب مدير عام مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون الخليجي وأسس تحرير مجلة «المأثورات الشعبية» الصادرة عن المركز.. يقول عن المجلة إنها «كنز يحفظ للمستقبل الكثير من أصالة وثقافة هذه المنطقة»، وبالفعل عندما نعود إلى ملف هذه المجلة فإننا نجد ملفاً غنياً بآثار المكان وجمالياته وإيقاع الحياة فيه. استطاعت المجلة أن تكون مرجعية وثقافية لأي باحث في تراث ومأثور المنطقة. وبوسع الشاعر والمغني والروائي والمسرحي والتشكيلي والأكاديمي الاستفادة من هذه المجلة التي تتبعت وتقصت منطقة الخليج العربي مظهرة بذلك الحياة في الماضي البعيد والقريب، إضافة إلى تخصصها في التراث العربي باتجاه تقديم صورة واقعية عن رقعة من العالم لها خصوصيتها، ولها عناقها الإنساني من الخصوصيات والمأثورات الكونية المتحاور تاريخياً، والمتلاقية في الذاكرة الثقافية الإنسانية.

وكما قلنا قبل قليل أن عبدالرحمن المناعي كتب الشعر، فقد أصدر ديوانه الأول «من هوى الزينة» على ثقة من نفسه، ومن دون أن يؤثر ذلك في مساره المسرحي. لا بل استفاد المناعي من التجربة الشعرية الخليجية عموماً. وذلك بتغذية نزوعه المسرحي شعرياً ومقارنته المحتددة بين هذين الفنين فقد قام بمسرحة ديوان «أنين الصواري» للشاعر علي عبدالله خليفة بطريقة درامية. ويقول عن هذه التجربة: «إن تجربتي في مسرحة ديوان «أنين الصواري» لعلي عبدالله خليفة، كانت جميلة، إلى حد أن الناس العامين البسطاء جاءوا لمشاهدة هذا العمل. لقد تغتلبوا كحكاية ميلودرامية مبكية». ويضيف: «عملت في اتجاهين، كمسرحي يتذوق الشعر، ومحاولة تحويل الخطاب الشعري إلى خطاب مسرحي».

يبقى القول إن المناعي طاقة فنية خليجية متحركة. مسكون أبداً بروح الإبداع يتنفس هواء الفن، وينطلق مع هذا الهواء الطلق إلى أبعد مناطقه من دون تعب. وكلما تقدم به العمر، فإنما يتقدم في عمر المسرح والشعر والتراث وبياض الطفولة. إنه لا يزال يكتب رسائل للعمال والمهاجرين والغرباء.. ويلقي بها في بريد السوق.

اللهجة العامية..

ذلك هو منهج المناعي على لسانه ومن الواضح أنه يتبع بذلك رؤية فنية ناضجة ونابعة من البيئة التي خرج منها، أو البيئة التي يعيشها بصدق وأمانة. وقد ساعده على انفتاح رؤيته المسرحية هذه علاقته المباشرة مع التراث الشعبي. فالرجل ابن مكانه بامتياز، كما هو ابن المنطقة بعمومها. تكوّنت لديه أرضية خصبة للإبداع المسرحي. كما تكوّنت لديه أجدبته الخاصة في هذا الشأن، وعليه فقد نال احترام مختلف الفعاليات الثقافية الخليجية، إضافة إلى أنه على مستوى شخصي يمتلك تلك الخاصية الإنسانية الراقية وهي رفاقية العمل ورفاقية الإبداع. يهيمه دائماً أن ينجح أي نشاط ثقافي فني يقوم عليه فرد أو يقوم عليه فريق، مع جنوحه الدائم إلى عمل الفريق أو عمل الجماعة، ذلك أن العمل المسرحي أساساً هو عمل جماعي.

يركز عبدالرحمن المناعي على المشهد المسرحي الغني برموز المنطقة وذلك بتوظيف كل هذه الرموز سواء في النص أو على الخشبة. ولا ننسى بالطبع أن المناعي يقبض على الشعر منذ بواكيره التي فتحت له آفاق الانخراط في أشكال التعبير التي جربها، وقد لا يمكننا القول تماماً إن مشهده المسرحي مشهد شعري إلا بقراءة هذا المشهد

في الصف السادس الابتدائي كان الطفل القطري النابه عبدالرحمن المناعي يندفع بغريزة غامضة نحو السوق. لماذا السوق...؟ ربما لأن الحياة تقع في هذا المكان المشحون بالحركة والأصوات والألوان. وربما لأن السوق هي سرّة المدينة، حيث أسرارها وتداعيات ألوان الحياة فيها. كان يجلس ويكتب الرسائل للعمال مقابل ريال لكل رسالة كما ذكر ذلك في أحد أحاديثه عام ١٩٨٨.

وبذلك استطاع «الطفل» من خلال هذا العمل أن يشتري كاميرا للتصوير، كما اشترى آلة عود ليتعلم الموسيقى مع الملحن عبدالعزيز ناصر، وكوّن مع عدد من أقرانه فرقة أطلقوا عليها اسم «فرقة الأصدقاء».

إن.. المشهد البعيد ذاك كأنه مقتطف من رواية رومانسية.. أو كأنه مشهد مسرحي خارج العلية الإيطالية.

قبل هذه الطفولة التي نشأت طراوتها مع طراوة الحبر والأوراق، كان عبدالرحمن المناعي قد خرج من بيت عائلي.. يحفز أساساً على عافية الخيال وقابليته. فقد كان أبوه عاشقاً للبحر وحافظاً لحكاياته المائبة الزرقاء الغامضة. أما الأم فقد كانت تلون بالشعر، وربما كانت تقول له ذلك كله كان يهيبه عبدالرحمن المناعي إلى حياة مقبلة ستكون حافلة بأشكال فنية متعددة.

في العام ١٩٦٩، ومع افتتاح الإذاعة القطرية يعدّ المناعي بعض التمثيليات، وفي ذلك الوقت المبكر يبدو أن الراحل زكريا الحجاوي قد وجد في عبدالرحمن المناعي بواير موهبة تكشف عن قدراتها مبكراً، فيطلب إليه كتابة مسرحية شعبية، ولكن المناعي كما يقول. رفض هذا الطلب لأن الحجاوي ساومه على طبع مجموعة شعرية له مقابل كتابة المسرحية، إلا أن هذه الحادثة سبقت أمام المناعي أفقاً كان مجهولاً بالنسبة إليه، وهو المسرح. وهكذا كانت البداية التي انطلقت أولاً مع المخرج المسرحي الأردني هاني صنوبر في العام ١٩٧٥.

تعلق عبدالرحمن المناعي أولاً بالتصوير والموسيقى، وعرف العمل الإذاعي، لكن تحقيق ذاته الإبداعية كان عن طريق المسرح، فقد كتب أول عمل مسرحي له في العام ١٩٧٤ بعنوان «أم الزين» حقق به نجاحاً كبيراً وبشكل غير متوقع، الأمر الذي دفعه إلى الاستمرار في حقل المسرح، وعبدالرحمن المناعي فنان وشاعر وباحث في التراث الشعبي، إلا أنه يجد نفسه ويجد إشباع ذاته الفنية في المسرح يقول: «اعتبر نفسي مؤلف عرض مسرحي، ولا أستطيع أن أصف شعوري حين تمتلكني حالة الرغبة في التأليف المسرحي».

فقد ألف وأخرج أكثر من ١٧ عملاً مسرحياً، ونحو سبعة أعمال للأطفال تأليفاً وإخراجاً، وهو يميل إلى لغة وسطية في المسرح تجمع بين العامية والفصحى.. مع ميل أكثر نحو الفصحى التي يجد فيها كما يقول «عالماً فسيحاً من البوح لا أجده في العامية».

يمثل عبدالرحمن المناعي ضميراً مسرحياً في قطر، ويعتبره القطريون الأب الروحي لحركتهم المسرحية، ولا غرابة في ذلك، فقد أمضى الرجل أكثر من ٢٥ عاماً في العمل الثقافي، وذاع اسمه بقوة في منطقة الخليج العربي. ومن أعماله المسرحية نذكر: «المغني والأميرة» و«هالشكل يا زعفران» و«حكاية الحداد» و«مقامات ابن بحر» و«ثمان اللؤلؤ» و«زنزانة البحر» و«الحادث والكائن في موت عايش بن ضاعن».

حول منهجه الفني في العمل المسرحي يقول المناعي: «أولي عناية خاصة للفرجة، ولتشكيل ما يُعرف بالفراغ المسرحي من قدرات الممثلين واستخدام الموروث الشعبي في تشكيل العرض المسرحي من أشعار وإيقاعات، وحتى أدوات وخامات أخرى، وأواصل بحثي من أجل تقديم لغة قادرة على الوصول إلى المشاهد وتتواءم مع الشخصيات والأحداث، وفي هذا السياق أسعى لتطويع اللغة العربية الفصحى، للابتعاد عن إسفاف

